



استراتيجية تدوين الحديث وفق تأثير شخصية الرسول وتخطيط اهل البيت النبوة ﷺ

م.د. فاطمة يونس قنبر البديري

جامعة الكوفة – كلية التربية الأساسية – العراق

fatima.younis@uokufa.edu.iq

الملخص. يتناول هذا البحث المسار المنهجي لتدوين الحديث الشريف، مبرزاً الأسبقية الزمنية والاستراتيجية المبكرة لتسجيل السنة النبوية خلافاً للآراء القائلة بتأخر التدوين إلى القرن الثاني الهجري. يهدف البحث إلى الكشف عن التلاحم بين المرجعية التشريعية للرسول ﷺ والتخطيط المنظم لأهل البيت (ع) في حفظ النص الحديثي وحمايته من الضياع والتحريف. اعتمدت الدراسة المنهج التحليلي التاريخي للروايات والمدونات، مقسمة على محورين أساسيين: يركز الأول على تأثير شخصية الرسول ﷺ في الإقرار المبكر للتدوين من خلال الترخيص المباشر بالقلم، والإملاء الشخصي للأحكام والتشريعات للصحابة. فيما يركز المحور الثاني على التخطيط المنهجي لأهل البيت (ع) عبر ثلاثة مستويات: التأسيس والجمع في مرحلة الإمام علي (ع) بتدوين "الجامعة"، ثم التأصيل والتشجيع في مرحلة الإمامين الباقر والصادق (ع) لحنّ الرواة على التدوين، وصولاً إلى مرحلة التوسيع والتنظيم التي أثمرت عن "الأصول الأربعمئة". أظهرت نتائج البحث أن تدوين الحديث لم يكن وليد ظروف طارئة أو صدفة تاريخية، بل شكّل مشروعاً استراتيجياً متكاملأً؛ بدأ بشرعية وإملاء نبوي مباشر، واستمر بتطوير وتأصيل علمي محكم من أهل البيت (ع)، مما جعل المدونات الأولى الركيزة الأساسية والخط الدفاعي الأول لحفظ الفقه والسنة النبوية في المصادر الحديثية الكبرى.



الكلمات المفتاحية: تدوين الحديث، شخصية الرسول ﷺ، أهل البيت (ع)، الجامعة، الأصول الأربعمئة، حفظ السنة.

Abstract. This research examines the methodological trajectory of Hadith codification, highlighting the chronological precedence and early strategy established for recording the Prophetic Sunnah, contrary to claims suggesting that codification was delayed until the second century AH. The study aims to uncover the synthesis between the legislative authority of the Prophet (pbuh) and the systematic planning of the Ahl al-Bayt (as) in preserving the Hadith text and protecting it from loss and distortion. The study adopts a historical-analytical methodology to examine narrations and codices, structured around two main axes: The first focuses on the influence of the Prophet's (pbuh) persona in establishing early codification through direct authorization and personal dictation of rulings and legislation to his Companions. The second axis focuses on the systematic planning of the Ahl al-Bayt (as) across three levels: foundation and compilation during the era of Imam Ali (as) through the codification of 'Al-Jami'ah', followed by consolidation and encouragement during the eras of Imams al-Baqir and al-Sadiq (as) to prompt narrators to write, leading to the expansion and organization phase that culminated in the 'Four Hundred Principles' (Al-Usul al-Arba'mi'ah). The findings demonstrate that Hadith codification was neither a byproduct of emergent historical circumstances nor a coincidence; rather, it constituted an integrated strategic project. Initiated through direct prophetic legitimacy and dictation, it was sustained by rigorous scientific development and consolidation by the Ahl al-Bayt (as), establishing the earliest codices as the primary pillar and foundational defense for preserving Islamic jurisprudence and the Sunnah across major Hadith collections.



المقدمة

الحمد لله رب العالمين، باري الخلائق أجمعين، وأزكى صلواته وتسليماته على صفوة خلقه ومصطفاه محمد، وعلى آل بيته الأبرار الميامين، الذين قرن الله طهارتهم بكتابه العزيز وأذهب عنهم كل رجز وندس.

تنبؤاً السنة النبوية المطهرة المرتبة الثانية بين مصادر التشريع والدليل الأسمى الشارح والمفسر للمضامين القرآنية الكريمة. وإن عملية صيانة هذا الميراث النبوي وتواتره عبر العصور لم تكن نتاجاً لظروف عفوية، بل مثلت مساراً معرفياً واعياً ارتكز في منطلقه الأول على المقومات الفريدة والسمات الاستثنائية لشخصية الرسول الأعظم محمد (ص)؛ إذ شكّل حضوره التربوي والقيادي الأخاذ منطلقاً لصياغة البناء الفكري والنفسي للصحابة والتابعين. فقد تحولت حواضر العلم ومجالس التوجيه والعبادة في عهده إلى بيئات تعليمية تطبيقية، رُصدت فيها أقواله الشريفة بدقة متناهية، وثُبتت أفعاله وسلوكياته بعناية بالغة. ولقد أسهمت مهابته الشريفة، المقترنة بفيض عطفه وجوامع كلمه وحنكته القيادية، في خلق وازع ذاتي وجداني عميق لدى معاصريه لاستيعاب شؤون حياته وتفاصيل سيرته كافة.

ومع امتداد الجغرافيا الإسلامية ونشوء حزمة من التحولات السياسية والفكرية في المرحلة التي تلت غياب النبي (ص)، ظهر المشروع الاستراتيجي لأهل البيت (عليهم السلام) بوصفه الضمانة الكبرى لحماية هذا التراث المعرفي من الاندثار أو التصحيف. ولم يقتصر دور الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) والصفوة من ذريته على الرواية التقليدية للحديث، بل تبنوا منهجية علمية منظمة بدأت بواكيرها الأولى في العصر النبوي عبر التقييد المباشر (كما هو الشأن في "الصحيفة" و"الجامعة")، وتواصلت عبر تحفيز الرواة على التدوين والتأليف، ووضع المرتكزات الأساسية لتقييم الرجال ونقد الأسانيد وفق ضوابط صارمة، وصولاً إلى تشييد الصروح الفقهية الشامخة التي بلغت أوج عطائها وازدهارها في مدرستي الإمامين الباقر والصادق (عليهما السلام).

يتوخى هذا البحث الكشف عن ملامح هذا التكامل المنهجي؛ من خلال بيان كيف أفرزت الخصائص الذاتية والتربوية لشخصية الرسول (ص) بيئة خصبة وإدراكاً جماعياً بأهمية سنته الشريفة، وكيف استحال هذا الإدراك إلى منظومة تدوين وتقعيد مؤسساتي قادها أئمة أهل البيت (عليهم السلام) صوناً للهوية المعرفية والأصالة التشريعية للأمة الإسلامية

1. المبحث الأول: اتخاذ المؤمنين شخصية الرسول القدوة المؤثرة في القيادة

يُمثّل الرسول الأكرم محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) الذروة في التسامي الإنساني، والنموذج





الأكمل الذي تجسدت فيه قاطبة الفضائل والسمات الأخلاقية الرفيعة. وقد اصطفاه الخالق سبحانه وتعالى ليكون مناراً للهدى، وبشيراً ونذيراً للبشرية، ليقود المجتمعات من غياهب الجهالة والانحراف إلى ضياء الحق والاستقامة؛ مصداقاً لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً * وَدَاعِياً إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجاً مُنِيرًا﴾ (الأحزاب: 45 - 46).

لقد حاز (صلى الله عليه وآله وسلم) بتسديد إلهي على جوامع الأخلاق، فغدت شخصيته مركزاً جاذباً ومؤثراً، بما انطوت عليه من سمو وعلو إنساني أبهر الخصوم قبل الأتباع. وتجلت هذه المعجزة الأخلاقية بأبهى صورها يوم دخوله مكة المكرمة فاتحاً عزيزاً؛ فبالرغم من عقود من التكتيل والعداوة والبغضاء التي واجهته بها قريش، فإنه (صلى الله عليه وآله وسلم) قابل ذلك بصفح تاريخي شامل، متجاوزاً عن تلك الجرائم والانتهاكات كافة.

وفي هذا السياق، يشير الإمام الخامنئي (دام ظله) إلى فريدة هذه الشخصية بقوله: "إن نبي الإسلام المكرم، إنساناً فوق المألوف (استثنائي)، بلحاظ الشخصية الإنسانية والبشرية، وهو من الطراز الأول الذي لا نظير له، جمَعَ الخصال الأخلاقية الرفيعة في شخصية إنسانية عزيزة، مظهرًا الكثير من الصبر والتحمل، وتقيل الآلام والمصاعب، لقد اجتمعت فيه كافة الخصوصيات الإيجابية للإنسان العظيم (مركز المعارف للمناهج والمتون التعليمية، 2015، ص42)

1.1. المطلب الأول: سنة البشارة الإلهية على مدى العصور

يؤكد البيان القرآني أن مسيرة البعثة النبوية وإرسال الرسل واكبت البدايات الأولى للتاريخ البشري، إذ نهض الأنبياء بمسؤولية قيادة مجتمعاتهم نحو سبل العيش الفضلى والكمال الإنساني، ومن هنا يصح القول إن انبثاق فجر النبوة في المجتمعات الإنسانية يُمثل الانطلاقة الحقيقية للتاريخ الحضاري للبشرية. ويشهد لذلك قوله جل شأنه: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيُحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (البقرة: 213).

لقد اقتضت الحكمة والرحمة الإلهية رفق البشرية بمنهاج هداية متكامل عبر الأنبياء، لتتحرر الإنسانية من قيود الدوافع الغريزية إلى سعة العقل، ومن صراعات القوة المادية إلى رحاب النظام والقانون. وبفضل هذه النبوءات، تجاوز المجتمع البشري محدداته البيولوجية الصرفة ليصبح ظاهرةً محكومة بالقيم الروحية والعقلية؛ إذ أوجدت الرسائل السماوية صيغةً أرقى للوحدة الإنسانية تتخطى





الروابط الدنوية والعرقية، لتستند إلى وحدة المعتقد والمنظومة الفكرية، مما أسهم في الارتقاء بالعلاقات الاجتماعية من أبعادها المادية إلى آفاقها المعنوية. أما التباينات التي طرأت على المجتمعات بعد ذلك، فقد تحولت إلى اختلافات في الرؤى والمفاهيم الدينية؛ حيث إن الرسائل لم تلغ أسباب التنازع البشري كلياً، وإنما جعلت من القانون الإلهي المنبثق عن الدين مرجعاً ثابتاً لفض هذه الخصومات، وقاعدة أساسية لتحقيق التعاون والتعاقد البشري (شمس الدين، 1997، ص74).

وقد استعرض الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) في الخطبة الأولى من "نهج البلاغة" — بعد تبيان قصة الخلق وإسكان آدم (عليه السلام) في الأرض — كيف شكلت النبوة المتعاقبة المحور الأساس لحركة الإنسان نحو التكامل المعرفي والأخلاقي، انسجاماً مع الرؤية القرآنية للتاريخ؛ حيث قال (عليه السلام): "...، واضطَفَى سُبْحَانَهُ مِنْ وَلَدِهِ أَنْبِيَاءَ، أَخَذَ عَلَى الْوَحْيِ مِيثَاقَهُمْ، وَعَلَى تَبْلِيغِ الرِّسَالَةِ أَمَانَتَهُمْ، لَمَّا بَدَّلَ أَكْثَرَ خَلْقِهِ عَهْدَ اللَّهِ إِلَيْهِمْ، فَجَهِلُوا حَقَّهُ وَاتَّخَذُوا الْأَنْدَادَ مَعَهُ، وَاجْتَالَتْهُمْ الشَّيَاطِينُ عَنْ مَعْرِفَتِهِ، وَاقْتَطَعَتْهُمْ عَنْ عِبَادَتِهِ فَبَعَثَ فِيهِمْ رُسُلَهُ، وَوَاتَرَ إِلَيْهِمْ أَنْبِيَاءَهُ لِيَسْتَأْذُوهُمْ مِيثَاقَ فِطْرَتِهِ، وَيُذَكِّرُوهُمْ مَنْسِيَّ نِعْمَتِهِ، وَيَحْتَجُّوا عَلَيْهِمْ بِالتَّبْلِيغِ، وَيُثِيرُوا لَهُمْ دِفَائِنَ الْعُقُولِ، وَيُرُوهُمْ آيَاتِ الْمَقْدِرَةِ، وَلَمْ يُحِلْ اللَّهُ سُبْحَانَهُ خَلْقَهُ مِنْ نَبِيٍّ مُرْسَلٍ، أَوْ كِتَابٍ مُنْزَلٍ أَوْ حُجَّةٍ لَازِمَةٍ أَوْ ..." (الرضي، 1967، ص44).

وفي خطبة أخرى لأمر المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) يحث فيها الأمة على الاقتداء التام بالسيرة النبوية العطرة، يقول: "فتأس بنبيك الأطيب الأطهر صلى الله عليه وآله وسلم فإن فيه أسوة لمن تأسى وعزاء لمن تعزى وأحب العباد إلى الله المتأسي بنبيه... عرضت عليه الدنيا فأبى أن يقبلها وعلم أن الله سبحانه أبغض شيئاً فأبغضه وحقر شيئاً فحقره وصغر شيئاً فصغره..." (الرضي، الخطبة 160).

إن الالتزام بنهج الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) والتأسي بسلوكه يمثل أحد أوجب التكليفات المنوطة بالأمة الإسلامية، وهو السبيل الأوضح لضمان الفلاح والنصر في الدين والدنيا معاً. فقد بعثه الله جل وعلا لإنقاذ البشرية وانتشالها من ظلمات الجهل نحو فضاءات العلم والمعرفة، حاملاً مشعل الهداية الربانية لإنارة دروب السالكين.

وإن الاختيار الإلهي لشخص محمد بن عبد الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ينطوي على دلالات وعبر عميقة؛ يأتي في مقدمتها أن النهوض بأعباء الرسالة والدعوة إلى الله يتطلب توفر حزمة من المزايا والخصائص القيادية والروحية الفذة، ليكون المؤهل الفعلي للقيام بدور الهادي، والمبشر، والنذير، والسراج المنير للأمة.



1.2. المطلب الثاني: النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) النموذج والأسوة

إن مقتضى التسليم لله جل وعلا والانقياد المطلق لتشريعاته وأوامره يستوجب الاقتداء التام والتأسي الواعي بسيرة الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم)، بوصف ذلك المرتكز الأساس لنيل الرضوان الإلهي ودخول الجنان؛ حيث يؤكد البيان الإلهي هذه الحقيقة بقوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ (الأحزاب: 21).

وفي الموضوع ذاته، يأتي الخطاب القرآني على لسان الرسول الكريم ليؤكد التلازم بين المحبة الإلهية واتباع النهج النبوي: ﴿قُلْ إِن كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (آل عمران: 31).

بناءً على ذلك، فإن تمثل القيم النبوية واقتفاء أثر الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) يرفع الإنسان إلى مراتب القرب المعنوي والمحبة الربانية. ومن هنا، فإن الباحث عن المثل الأعلى والأسوة الحقيقية يجد ضالته في الشخصية التي خلد الخالق ثناءها في محكم كتابه بقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (القلم: 4).

رواية في سبب النزول: ورد في خلفيات نزول هذه المدحة المباركة أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) كان يرتدي برداً نجرانياً غليظ الحاشية، فجذبه أحد الأعراب من خلفه بجفوة حتى أثرت الحاشية في عنقه الشريف، مطالباً إياه بالمال، فما كان منه (صلى الله عليه وآله وسلم) إلا أن التفت إليه متبسماً وأمر بتقديم العطاء له؛ فأنزله الله تعالى ثناءه العظيم الذي لم يخص به أحداً غيره من العالمين (الدليمي، إرشاد القلوب، 1424هـ).

1.3. المطلب الثالث: منابع القدوة في شخصية النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)

تُمثِّل الذات النبوية الشريفة الينبوع الأصيل للفضائل، والمحور الأساس للمكارم الإنسانية، والتجسيد الأكمل للأخلاق السامية؛ فحيثما يمس الباحث وجهه شطر أي فضيلة، وجدها متحققة في سيرة النبي بأعلى مراتبها الكمالية. ومن هذا المنطلق، ركز الإمام علي (عليه السلام) في دعوته على التأسي بالرسول كونه الأسوة المطلقة للسالكين.

لقد تفرّدت الشخصية النبوية بمنظومة أخلاقية رفيعة تشتاق إليها العقول السليمة وتسعى لتحقيقها؛ إذ إن سائر الفضائل والكمالات لا تكتسب قيمتها وجاذبيتها إلا إذا اقترنت بحسن الخلق وازدانت بضيائه. ولما كانت المكارم الأخلاقية هي ملاك الفضائل والغاية الأسمى من البعثة الرسالية، جاء في الأثر عنه (صلى الله عليه وآله وسلم): "إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ" (المجلسي، 2008، ص 333).

وقد تجلت الحكمة النبوية والأخلاقية الرفيعة في إحداث أضخم عملية تحول اجتماعي وحضاري



عرفها التاريخ؛ إذ عبر بالأمة من ظلمات الجاهلية وانحرافاتهما إلى فضاءات الإسلام الرحبة، مشيداً ركائز أمة نموذجية تنشد السعادة في الدارين. ولم يكن ليتحقق هذا الالتفاف الجماهيري حول راية التقوى لولا تلك الأخلاق الفاضلة التي اعتبرت المتخلق بها في طليعة أهل الإيمان؛ فعندما سُئِلَ (صلى الله عليه وآله وسلم) عن أكمل المؤمنين إيماناً، أجاب: "أحسنهم خُلُقاً" (الصدوق، 1959، ص333).

إن هذا التلازم الوثيق يبين أسرار عظمة الإسلام الذي نهض على دعامتين متكاملتين: العبادات والمعاملات. وفي هذا الإطار تتبثق وصيته الشريفة: "إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم فسعوهم بأخلاقكم" (المجلسي، 2008، ص383). وهو ما دفع المفكر الغربي وول ديورانت إلى الإقرار بعظمته قائلاً: "إذا حكمنا على العظماء بما كان للعظيم من أثر في الناس، قلنا محمد أعظم العظماء" (ديورانت، 2013، ص47).

وتأسيساً على ذلك، فإن البوابة الحقيقية للاقتداء بالرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) تتمثل في الاتباع الفعلي لسيرته وسلوكه ونهجه عقيدة وعملاً، فمن لم يقتبس من أنوار تلك الأخلاق خطأ، انتقى عنه وصف التأسّي الحقيقي.

ثانياً: القدوة في الإعراض عن الدنيا

لقد صان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) نفسه عن الركون إلى زخارف الدنيا الفانية، مستثمراً عمره الشريف في الطاعة والورع وبناء الأمة وتوجيه القلوب نحو الخالق سبحانه. وبالمقابل، تقدم مصائر الجبارة والطغاة الذين تسابقوا على حطام الدنيا بالظلم والعدوان عبرة تاريخية بالغة؛ إذ رحلوا عنها صفر اليدنين؛ فهذا هارون الرشيد يواجه منيته منتقياً أكفانه وهو يردد بانكسار: ﴿مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِي * هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِي﴾ (الحاقة: 28-29). كما نُقِلَ عن عبد الملك بن مروان قوله حين حضره الموت ورداً على من سأله عن حاله: "أجدني كما قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فَرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ مَاءَ خَوْلَانَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ﴾ (الأنعام: 94).

إن المقارنة التاريخية بين مآل هؤلاء الملوك الذين حازوا القصور والذخائر وانطوت ذكراهم، وبين الخلود المعنوي للرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) الذي فارق الدنيا دون حطام مادي، لتدل بوضوح على أن البقاء الحقيقي هو للمنهج الرسالي الباقي في ضمير الأمة الإنسانية وصالحيتها، مفسحة المجال أمام الإرادة الإنسانية الحرة لتختار لنفسها إما مسار الطغاة الفاني أو النهج النبوي الخالد.

1.4. المطلب الرابع: التربية الإلهية واستجماع الصفات العالية للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم)

أولاً: التربية الإلهية والإعداد الروحي المبكر



مما لا شك فيه أن بلوغ مقام النبوة يتطلب استعداداً نفسياً وتكاملاً روحياً يؤهل النبي لتلقي الفيض والمعرفة الإلهية، ويرفع كينونته فوق حدود العالم المادي ليكون خالص التعلق بالله سبحانه وتعالى. ومن هذا المنطلق، حظي النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) منذ نشأته الأولى بتسديد غيبي ورعاية ربانية خاصة؛ إذ يصف أمير المؤمنين علي (عليه السلام) هذا الإعداد المبكر بقوله: «ولقد قرن الله به من لدن أن كان فطيماً أعظم ملك من ملائكته، يسلك به طريق المكارم ومحاسن أخلاق العالم، ليله ونهاره» (الرضي، 1967، ص292).

وفي سياق متصل، يُفسر الإمام محمد الباقر (عليه السلام) الآيات الكريمة من سورة الجن: ﴿عَالِمِ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا * إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ...﴾ موضحاً أن الله تعالى يكل بأعظم أنبيائه ملائكة يحصون أعمالهم ويسددون خطاهم، وقد وُكِّلَ بمحمد (صلى الله عليه وآله وسلم) ملكاً عظيماً منذ فطامه يرشده إلى المكارم ويذود عنه السيئات، حتى إن النبي في شبابه وقبل بعثته كان يسمع نداء الملك: "السلام عليك يا محمد، يا رسول الله"، فيلتفت ولا يرى أحداً، ظاناً أن الصوت يصدر من الحجر أو الأرض (ابن أبي الحديد، 1959، ص207).

إن هذا التأديب والتعليم الرباني للأنبياء — باعتباره صفوة تلامذة الحضرة الإلهية — يُعد أرضية تسبق الرسالة؛ فالبعثة مرحلة مضافة تشتمل على التعليم والتزكية والإتيان بالكتاب والحكمة، وتزيد عليها بـ "البعث" والتحريك الفعلي لهداية البشرية.

ثانياً: بناء الشخصية الأخلاقية وصقلها قبل البعثة

لقد صاغت الرعاية الإلهية الشخصية الروحية والأخلاقية للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في ظروف استثنائية، لتهيئتها لحمل الأمانة الكبرى. وبناءً على سعته الوجودية، كانت قابليته الروحية تزداد نمواً وتجذراً، فامتاز بشخصية إنسانية عزيزة، وقدرة فائقة على الصبر والتحمل في مواجهة آلام الحياة ومشاقها. ولأن الله تعالى لا يكل هذه المسؤولية الخطيرة إلا لمن حاز ذروة الكمال الأخلاقي، جاء الخطاب الإلهي في أوائل بعثته واصفاً إياه: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (القلم: 4).

وتجلت مظاهر هذا الصقل الروحي في مرحلة شبابه عبر سلوكه العملي؛ فالأموال الطائلة التي كان يجنيها من نشاطه التجاري لم تحبسه في إطار الماديات، بل كان يتصدق بها كاملة على الفقراء والمحتاجين.

وفي المرحلة الأخيرة التي سبقت نزول الوحي، اتخذ النبي من جبل حراء ملاذاً للتأمل والعبادة. فكان يتدبر في ملكوت السماوات، والنجوم، والأرض، وحركة الخلائق بمختلف عواطفها وسلوكياتها، ويرى في كل تفصيل آية دالة على الخالق العظيم. هذا الخلوة زادت من خضوعه للحق، ورسخت في



قلبه الخشوع للإرادة الإلهية، ونمت بذور أخلاقه السامية، حتى وُصف في الروايات بأنه «كان أعقل الناس وأكرمهم» (المجلسي، 2008، ص307).

ثالثاً: بلوغ أوج الكمال وانطلاق البعثة الشريفة

استمر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في الترقى والتكامل يوماً بعد يوم حتى بلغ سن الأربعين، وهي مرحلة النضج الأتم. وفي هذه المرحلة، تجلى الصدق والنقاء في أسمى صورهما، حيث ورد في الأثر: «فلما استكمل أربعين سنة ونظر الله عز وجل إلى قلبه، وجده أفضل القلوب وأجلها وأطوعها وأخشعها وأخضعها»؛ فغدا قلبه الشريف منوراً ومستعداً تماماً لتلقي الفيض الإلهي الأول.

وعند وصوله إلى هذا الأوج المعنوي والنوراني، أذن الله لأبواب السماء وعوالم الغيب أن تتفتح أمامه، فكان يرى الملائكة، ويكلمهم، ويسمع كلامهم، حتى أتاه جبرائيل الأمين بالنداء السماوي الأول: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ (العلق:1)، تعلن هذه اللحظة العظيمة بداية البعثة النبوية الشريفة.

رابعاً: استجماع الصفات العالية والتميز الذاتي

تكشف الآيات القرآنية صراحة أن محمداً (صلى الله عليه وآله وسلم) كان قبل بعثته متوقفاً تفوقاً مطلقاً على أقرانه من النواحي الإيمانية، الأخلاقية، والعقدية، مستجمعاً لكفاءة واستعداد روحي استثنائي. وتعتبر الآية الكريمة ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ البرهان الأكبر على هذه الحالة النفسية والملكات الرفيعة التي تحلى بها قبل الاصطفاء، خاصة إذا ما راعينا تاريخ نزولها المبكر.

ولا نجد في البيان والثناء تعبيراً أجمع وأشمل دلالة من هذا الوصف الإلهي؛ فالخُلُق لفظ يستغرق كافة الأفعال الفاضلة والعادات الحسنة، ويكشف عن عموم صفاته الذاتية، والاجتماعية، والأسرية.

وفي وصف جامع لهذه العظمة، يقول الإمام الخامنئي (قدس): (إن نبي الإسلام المكرم، إنسان فوق المألوف (استثنائي) بلحاظ الشخصية الإنسانية والبشرية، وهو من الطراز الأول الذي لا نظير له، جمع الخصال الأخلاقية الرفيعة في شخصية إنسانية عزيزة، مظهراً كثيراً من الصبر والتحمل، وقدرة عالية على تحمل الآلام والمصاعب. لقد اجتمعت فيه كافة الخصوصيات الإيجابية للإنسان العظيم).

2. المبحث الثاني: تأصيل السنة النبوية من خلال دور أهل البيت (عليهم السلام)

تنبؤاً السنة النبوية المطهرة مرتبة المصدر التشريعي الثاني في الإسلام بعد القرآن الكريم، فضلاً عن كونها ركيزة جوهرية من ركائز الثقافة الإسلامية ومعارفها. وبالرغم من هذه المكانة السامية، فقد جابهت السنة النبوية -منذ عهد الرسول الأكرم- محاولات حثيثة للنيل من صدقيتها ومحاربة مضامينها؛ بدأت تاريخياً بقرار السلطة القاضي بمنع تدوينها وكتابتها، وتطورت لاحقاً إلى ظواهر التزييف، والوضع،





والحذف، والتشويه ، وأمام هذا التحدي الخطير، هبَّ علماء المسلمين لحماية التراث النبوي، فنشأت وتبلورت العلوم

التخصصية كعلم الحديث، وعلم الرجال، وعلم الجرح والتعديل. وفي هذا المضمار، برز الدور الأساس والمحوري لأئمة أهل البيت (عليهم السلام) وعلماء شيعتهم؛ حيث اضطلعوا بمهمة مزدوجة؛ تمثلت الأولى في حفظ السنّة الشريفة وتنقيتها وتمحيصها وإشاعتها، وتجسّدت الثانية في التصدي الحازم للانحرافات الفكرية والبدع الدخيلة. وقد قاد الأئمة (عليهم السلام) هذه الحركة التصحيحية الواعية بحزمٍ ودأبٍ وتخطيطٍ استراتيجي، باذلين في سبيلها أقصى الجهود، مع توجيه علماء شيعتهم بضرورة مواصلة هذا درب المصيري، وهو ما امتثله العلماء بكل أمانة ومسؤولية.

وفي السطور الآتية، نُسلط الضوء على المنهجية المعرفية والخطّة العملية التي اتبعها أهل البيت (عليهم السلام) في صيانة السنّة النبوية ومكافحة الانحراف.

2.1. المطلب الأول: العمل على ارتباط المسلمين بشخصيّة الرسول القائد (صلى الله عليه وآله وسلم) واتخاذهُ قُدوةً

إن مسار إحياء السنّة النبوية وتطبيق أحكامها وتشريعاتها في واقع الأمة يمرّ حتماً عبر بوابة الارتباط الوجداني والفكري بشخصية الرسول القائد (صلى الله عليه وآله وسلم). فمالم تتعقد قلوب الناس على عشق هذه الشخصية المقدسة، والاعتقاد التام بعظمتها وسموها المطلق على سائر البشر، فلن يكون بمقدورهم التلقّي الواعي والالتزام العملي بسنّته الطاهرة.

من هنا، تركّزت الجهود الأولى لأئمة أهل البيت (عليهم السلام) على تمتين صلة المسلمين بالرسول الأكرم، وترسيخ موقعيته بوصفه الأسوة الأرقى، وذلك عبر المسارات الجوهرية الآتية:

أ. بيان الصّورة الحقيقيّة الجذّابة لشخصيّة الرّسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم):

لقد نشطت تاريخياً بعض المحاولات التي رامت اختزال شخصية رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وتصويره في إطار "الإنسان العادي" الذي لا يمتاز عن الآخرين، ونسبت إليه -عبر الروايات الموضوعية- مواقف أو سلوكيات أو كلمات غير مسؤولة؛ بهدف تفتيت الأبعاد الرسالية الشامخة لشخصيته، وإضعاف دوره كقدوة ومثل أعلى بنص القرآن الكريم: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ (الأحزاب: 21).

وقد تجلّى دور أهل البيت (عليهم السلام) هنا في الذود عن حمى هذه الشخصية العظيمة، وإبراز ملامحها الحقيقية بما يليق بمقام النبوة، والعصمة الإلهية، والهدى، والتبشير، والإنذار.

وفي طليعة المدافعين عن الصورة الربانية المتكاملة للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) يبرز الإمام



علي بن أبي طالب (عليه السلام)؛ إذ يزخر كتاب «نهج البلاغة» بأوصاف دقيقة وبلغية تكشف خصائص الرسول؛ حيث يقول (عليه السلام) في معرض حديثه عن بعثته الشريفة: "بعثته والناس ضالّ في حيرة، وخابطون في فتنة. قد استهوتهم الأهواء، واستزلّتهم الكبرياء، واستخفّتهم الجاهلية الجهلاء. حيارى في زلزال من الأمر وبلاء من الجهل. فبالغ (صلى الله عليه وآله وسلم) في النصيحة، ومضى على الطريقة، ودعا إلى الحكمة والموعظة الحسنة" (الموسوي، 2004، خطبة 95).

ويقول (عليه السلام) في موضع آخر مبيناً فضله وأثره في الأمة: "وأشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، ونجيته وصفوته. لا يُوازى فضله، ولا يُجبرُ فقهه، أضاءت به البلاد بعد الضلالة المظلمة، والجهالة الغالبة، والجفوة الجافية. والناس يستحلّون الحريم ويستذلّون الحكيم. يحيون على فترة، ويموتون على كفرة" (الموسوي، 2004، خطبة 151). وفي الخطبة القاصعة، يصف أمير المؤمنين (عليه السلام) الرعاية الغيبية والتربية المبكرة للنبي، وعلاقته للصيقة به:

"ولقد قرن الله به (أي النبي) (صلى الله عليه وآله) من لئن أن كان فطيماً أعظم ملك من ملائكته يسلك به طريق المكارم، ومحاسن أخلاق العالم، ليلهُ ونهارهُ. ولقد كنتُ اتَّبَعُهُ اتِّبَاعَ الْفَصِيلِ أَثَرُ أُمِّهِ، يرفعُ لي في كلِّ يومٍ من أخلاقه علماً، ويأمرُني بالاعتداء به" (الموسوي، 2004، خطبة 88). أما عن مظهر شجاعته وبأسه (صلى الله عليه وآله وسلم) في الميدان، فيروي الإمام (عليه السلام): "كنا إذا حمي البأسُ ولقي القومُ اتقينا برسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فما يكون منا أحدٌ أقرب إلى العدو منه" (الهندي، 1985، ح35463).

وحينما يُبحر الباحث في الموسوعات الحديثية الماثورة عن أئمة العترة الطاهرة (عليهم السلام)، يجد تسجيلاً وتوثيقاً دقيقاً ومبهرًا لشمائل الرسول وأخلاقه الفاضلة التي عظمها الله في قوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾. فقد أفاضت هذه المرويات في شرح صدقه، وأمانته، وعدله، وشجاعته، ورحمته، وحلمه، وتواضعه، وزهده، وذوبانه التام في عبادة الله سبحانه، لترسم للبشرية أبهى نموذج إنساني يُقتدى به إلى قيام الساعة.

ب- الاقتداء بسيرة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)
تُمثّل السيرة النبوية التطبيق العملي والمنهج الحي لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في الحياة، والوقوف على تفاصيل سلوكه الشريف في تعامله مع ذاته، وأهله، وأصحابه، وأعدائه، وكيفية إدارته لحركة الدعوة، يمثّل مصدراً معرفياً وتقنياً أساسياً. فمن خلال هذه السيرة، يستنبط الفقهاء المنظومة



التشريعية والأحكام والقوانين التي تضبط حركة الفرد والمجتمع.

لذا، ركّز الأئمة (عليهم السلام) على ضرورة محاكاة السيرة النبوية والامتثال لهداياها، فكانوا النموذج الأسبق في تطبيقها والدعوة إليها.

يقول الإمام علي (عليه السلام) في نهج البلاغة حائاً الأئمة:

"واقنوا بهدي نبّكم فإنه أفضل الهدى، واستنوا بسنّته فإنها أهدى السنن" (الموسوي، 2004، خطبة 110).

وفي نص آخر يقول:

"فتأس بنبيك الأطيب الأطهر (صلى الله عليه وآله) فإن فيه أسوة لمن تأسى، وعزاء لمن تعزى، وأحب العباد إلى الله المتأسي بنبيّه والمقتصر لأثره" (الموسوي، 2004، خطبة 160)..

ولشدة انصهار أمير المؤمنين (عليه السلام) في شخص المعلم الأول وتعلقه بنهجه، كان يُعلنها صراحة: "إنما أنا عبد من عبيد محمد (صلى الله عليه وآله)" (الشيخ الصدوق، 2012، ص174).

وقد تواترت الأحاديث الشريفة عن أئمة أهل البيت (عليهم السلام) وهي تنقل تفاصيل الحياة اليومية والاجتماعية لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بدقة متناهية؛ فوصفت هيئة حديثه، وجلوسه، ونومه، وطعامه، وشرابه، وكيفية تعاظمه مع المحيطين به، لتظل سيرته شاخصة كأسوة حية للناس كافة.

ج- الدعاء للرسول (صلى الله عليه وآله) والصلاة عليه والاستشفاع به

تمثّلت إحدى القنوات الأساسية لتوثيق ارتباط أئمة أهل البيت (عليهم السلام) بالرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم)، وتجسيد تعلقهم الوجداني بمقامه الشريف، في مداومتهم على الدعاء له، والجهار بالصلاة عليه، والتوجه بالاستشفاع به إلى الله سبحانه، وقد حرصوا على تلقين شيعتهم وتربيتهم على هذا النهج العبادي.

ومن الشواهد البارزة على ذلك، ما أورده الإمام علي (عليه السلام) في خطب «نهج البلاغة» حيث يقول:

"اللهم... اجعل شرائف صلواتك، ونوامي بركاتك، على محمد عبدك ورسولك، الخاتم لما سبق، والفتاح لما انغلق، والمعلن الحق بالحق... اللهم افسح له مفسحاً في ظلك، واجزه مضاعفات الخير من فضلك. اللهم وأعل على بناء البانين بناءه، وأكرم لديك منزلته، وأتمم له نوره، واجزه من ابتعائك له، مقبول الشهادة، مرضي المقالة، ذا منطق عدل، وخطبة فصل..." (الموسوي، 2004، خطبة 72).

وفي سياق بيان الأدب العبادي وأثر الصلاة الفاطمية في استجابة الدعاء، يقول (عليه السلام): "إذا كانت لك إلى الله سبحانه حاجة، فابدأ بمسألة الصلاة على رسوله (صلى الله عليه وآله وسلم)



ثم سأل حاجتك، فإن الله أكرم من أن يُسأل حاجتين، فيقضي إحداهما ويمنع الأخرى" (الموسوي، 2004، الكلمات القطار رقم 361).

د- زيارة قبر الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)

أولى أئمة أهل البيت (عليهم السلام) عناية فائقة بمسألة زيارة قبر جدّه المصطفى (صلى الله عليه وآله وسلم)؛ انطلاقاً من المعاني التربوية والأبعاد الروحية الكامنة في هذه الممارسة الفاضلة، والتي تتيح للزائر استحضار السيرة النبوية المباركة، واستدكار المواقف والتعاليم الرسالية الشاخصة في أفعاله وأقواله، مما يخلق حالة من المعاشية الروحية تدفع نحو مزيد من التأسي والاتباع. وفي هذا الإطار، تضافرت الروايات الماثورة عنهم لتوثيق فضيلة هذه الزيارة، ومن ذلك ما نقله ابن قولويه في كتابه «كامل الزيارات» مسنداً:

1. سأل الحسين بن علي (عليه السلام) أباه أو جدّه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): "يا أبتاه ما جزاء من زارك؟" فقال (صلى الله عليه وآله وسلم):
(يا بني من زارني، حياً أو ميتاً، كان حقاً عليّ أن أزوره يوم القيامة وأخلصه من ذنوبه» (ابن قولويه القمي، 2011، ص 14).
2. وعن الإمام أبي جعفر الباقر (عليه السلام) قال: (إن زيارة قبر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) تعدل حجة مع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) مبرورة» (ابن قولويه القمي، 2011، ص 15).
3. وعن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أنه قال:
(من زارني بعد وفاتي كان كمن زارني في حياتي، وكنت له شهيداً وشافعاً يوم القيامة) (ابن قولويه القمي، 2011، ص 13).

2.2. المطلب الثاني: التأكيد على دور سنة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) في التشريع الإسلامي
بذل أئمة أهل البيت (عليهم السلام) جهوداً معرفية مضمّنة لتجذير السنة النبوية المطهّرة في وعي الأمة وسلوكها، عبر برامج تثقيفية مركزة ومستمرة دعت إلى وجوب الارتكاز إليها كمرجعية تشريعية تالية للقرآن الكريم، ومعين لا ينضب للأحكام الشرعية والثقافة الحياتية. وتتجلى أبعاد هذا التأكيد في المأثورات الآتية:

أ. يؤكد الإمام علي (عليه السلام) في وصيته للأمة على التلازم بين الكتاب والسنة قائلاً:
"أما وصيّتي، فالله لا تُشركوا به شيئاً، ومحمداً (صلى الله عليه وآله وسلم) فلا تضيعوا سنّته. أقيموا هذين العمودين، وأوقدوا هذين المصباحين وخالكم ذمّ ما لم تُشردوا" (الموسوي، 2004، خطبة 149).



ب . وفي موضع آخر، يحدد (عليه السلام) طبيعة العقد القائم بين القيادة والأمة بقوله:
"ولكم علينا العمل بكتاب الله تعالى وسيرة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) والقيام بحقه،
والنَّعْشَ لِسَنَّتِهِ" (الموسوي، 2004، خطبة 169).

ج . وتأصيلاً لمرجعية السنّة في فك النزاعات والاشتباكات الفقهية والسياسية، يكتب (عليه السلام)
في عهده لمالك الأشر:

"وَارْزُدْ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ مَا يُضْلَعُكَ مِنَ الْخُطُوبِ، وَيَشْتَبُهُ عَلَيْكَ مِنَ الْأُمُورِ. فَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى لِقَوْمٍ
أَحَبَّ إِرْشَادَهُمْ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ
فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ ﴿النساء: 59﴾. فَالْزُدْ إِلَى اللَّهِ: الْأَخْذُ بِمَحْكَمِ كِتَابِهِ، وَالرُّدُّ إِلَى الرَّسُولِ: الْأَخْذُ
بِسَنَّتِهِ الْجَامِعَةِ غَيْرِ الْمَفْرَقَةِ" (الموسوي، 2004، كتاب رقم 53).

د . ويحثّ (عليه السلام) على لزوم الاتّباع السلوكي في خطبة أخرى بقوله:
"اقتدوا بهدى نبيكم فإنه أفضل الهدى، واستنُّوا بسنّته فإنها أهدى السُّنن" (الموسوي، 2004، خطبة
110).

هـ . وفي السياق نفسه، يُبيّن الإمام علي بن الحسين زين العابدين (عليه السلام) المحورية العبادية
للسنّة بقوله:

"إن أفضل الأعمال عند الله ما عمل بالسنة وإن قلّ" (الكليني، 2007، ح رقم 7).

2.3. المطالب الثالث: التأكيد على كتابة السنّة المطهّرة

اتخذت مدرسة أهل البيت (عليهم السلام) موقفاً حازماً ورافضاً للمنهجية التي تبنتها مدرسة الخلفاء
والقاضية بقرع التدوين ومنع كتابة الحديث الشريف؛ انطلاقاً من رؤية علمية ترى في حظر التدوين
عاملاً خطيراً يؤدي إلى ضياع النصوص وتشويشها، نظراً لعدم أمان الذاكرة البشرية وتعرّضها للنسيان
والتحريف بمرور الزمن. ويمكن تفصيل هذا الموقف الريادي للأئمة عبر المحاور الآتية:

أ . الإمام علي بن أبي طالب، أمير المؤمنين (عليه السلام)، وتدوين الحديث:

باشر الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) عملية التدوين المنهجية للحديث النبوي منذ عصر الرسالة
الأول، امتثالاً للتوجيه النبوي المباشر المتمثل في قوله (صلى الله عليه وآله وسلم): "اكتب ما أُملي
عليك". وقد أسفرت هذه الملائمة العلمية عن صياغة كتاب عُرف في تراث الأمة بـ «الجامعة»، وهو
صحيفة حوت إملاءات رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بخط يد الإمام علي (عليه السلام)، ليمثّل
أول مصنّف حديثي جامع يُدَوّن في عهد النبوة.





وقد تواترت التنبيهات الصريحة بهذه الصحيفة في أحاديث الأئمة اللاحقين؛ حيث يُعرَف الإمام جعفر الصادق (عليه السلام) بمحتواها الدقيق قاطعاً الطريق على الظن والقياس:

"إن عندنا لصحيفة يقال لها الجامعة ما من حلال ولا حرام إلا هو فيها حتى أرش الخدش" (أي تفصيل الديات لأبسط الجروح المادية).

وفي سياق نقده للمناهج الفقهية القائمة على الرأي والقياس البعيدة عن النص المدون، يقول (عليه السلام):

"ضل علم ابن شبرمة عند الجامعة، إملأ رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وخط علي (عليه السلام) بيده، إن الجامعة لم تدع لأحد كلاماً، فيها علم الحلال والحرام، إن أصحاب القياس طلبوا العلم بالقياس فلم يزدادوا من الحق إلا بعداً، إن دين الله لا يصاب بالقياس".

ب. أئمة أهل البيت يؤكدون على الكتابة:

حرص أئمة العترة على حث وتوجيه تلامذتهم وأصحابهم نحو تقييد العلم بالكتابة كضمانة معرفية؛ وفي هذا يروى عن الإمام الصادق (عليه السلام) قوله الشريف:

"القلب يتكل على الكتابة"، وقوله أيضاً: "اكتبوا فإنكم لا تحفظون حتى تكتبوا".

وفي توجيهه البالغ لتلميذه المفضل بن عمر، يضع الإمام الصادق (عليه السلام) رؤية استشرافية لأهمية التوثيق المكتوب في زمن الأزمات الفكرية قائلاً:

"اكتب وبث علمك في إخوانك، فإن مت فأورث كتبك بنيك، فإنه يأتي على الناس زمان هرج لا يأنسون فيه إلا بكتبهم".

ج. الممارسة التدوينية عند أتباع مدرسة أهل البيت:

أثمر هذا التحفيز المنهجي المتواصل من قبل الأئمة حركة تدوينية وتصنيفية واسعة لدى أتباعهم ورواة حديثهم، والذين اضطلعوا بأدوار ريادية في تصنيف الحديث، وتبويب مسائله، وتحرير أسانيده، وتأسيس قواعد العلمية.

ويأتي في طليعة هؤلاء الرواد:

1- أبو رافع (مولي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم): وهو من الرعيل الأول الذين أسلموا بمكة وهاجروا إلى المدينة وشهدوا المشاهد كلها مع النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، ثم لازم من بعده أمير المؤمنين (عليه السلام) في حروبه، وتقلد أمانة بيت ماله في الكوفة. ويُسَجَل لأبي رافع في التاريخ الفقهي والحديثي أنه أول من جمع الحديث ورتب أبوابه، مصنفاً مصنفه الشهير «كتاب السنن والأحكام والقضايا»، كما نصّ على ذلك الشيخ النجاشي في كتابه المعروف «فهرس أسماء المصنّفين من



الشيعة».

2- سليم بن قيس الهلالي: وهو من خواص أصحاب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام)، وقد بادر مبكراً إلى تدوين مُصنَّفٍ حديثيٍّ ضمَّ ما شافهه ورواه عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وعن أمير المؤمنين (عليه السلام). وفي تقييم هذا الكتاب والأثر العلمي له، يقول الشيخ النعماني في كتاب الغيبة:

"إنَّ كتاب سليم بن قيس الهلالي أصل من أكبر كتب الأصول التي رواها أهل العلم حملة حديث أهل البيت (عليهم السلام)، وأقدمها، وإن جميع ما اشتمل عليه هذا الأصل إنما هو عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وأمير المؤمنين (عليه السلام) والمقداد وسلمان الفارسي وأبي ذر ومن جرى مجراهم ممَّن شهد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وأمير المؤمنين (عليه السلام) وسمع منهما" (الغريفي، 2009، ص 288 - 290).

وتأسيساً على ما سبق، يظهر جلياً أن الشيعة قد احتفظوا بآثار الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) وتراثه عبر بوابتها الشرعية المتمثلة بأهل البيت (عليهم السلام)، مسجلين بذلك سبوقية علمية على سائر الأمة في تدوين تلك الآثار وتقييدها؛ حيث تميزت حركة التدوين لديهم بقوتها وإطرادها على مر العصور في شتى المعارف والعلوم الإنسانية.

2.4. المطلب الرابع: نشر سنة الرسول (صلى الله عليه وآله) وروايتها

شهد العصر الذي تقلد فيه الإمام علي (عليه السلام) سدة الخلافة انفراجة علمية كبرى؛ إذ أزيلت شتى القيود والمحظورات السياسية التي كانت مفروضة على رواية حديث رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، فازدهرت حركة الرواية وانتشرت انتشاراً واسعاً في الحواضر الإسلامية، وإن كانت الغالبية العظمى من تلك المرويات لم تُدَوَّن رسمياً في ديوان جامع على عهده. وقد أفاد الصحابة من هذا المناخ الحر، فرووا عن سنة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) الشيء الكثير مما كان محظوراً عليهم الخوض فيه أو روايته في العهود السابقة لعرشه (الغريفي، 2009، ص 48).

ومن الجدير بالذكر، أن نفراً من رواد مدرسة أهل البيت (عليهم السلام) لم يكونوا يكتثرون بسياسة الحظر والمنع التي فُرِضت على السنة المطهرة حتى في العصور التي سبقت خلافة أمير المؤمنين. فقد روى الدارمي وغيره أن أبا ذر الغفاري كان جالساً عند الجمرة الوسطى في الحج وقد تجمع الناس حوله يستقنون، فأقبل إليه رجل منساق من قبل السلطة، فوقف عليه وقال زاجراً: ألم تُثَنِّ عن الفتيا؟ فرفع أبو ذر رأسه إليه وقال بكل صلابة: "أرقيب أنت علي؟ لو وضعتهم الصمصامة على هذه



-وأشار إلى قفاه- قبل أن تجهزوا عليّ لأنفذتها" (الطبرسي، 1324هـ، ص 265).

وقد واصلت مدرسة أهل البيت (عليهم السلام) مسيرتها الفكرية في إشاعة التحديث بالسنة النبوية الطاهرة، ونستعرض في هذا الصدد جملة من النصوص الروائية الصادرة عن الأئمة (عليهم السلام) لبيان المنهج والتحفيز:

أ. عن الإمام جعفر الصادق (عليه السلام) "رحم الله امرأً حدّث عن رسول الله ولم يكذب" (المجلسي، 2008، ص 146).

ب. وعن الإمام محمد الباقر (عليه السلام) في الحث على طلب معارفهم: "سارعوا في طلب العلم، فوالذي نفسي بيده لحديث واحد في حلال وحرام، تأخذه عن صادق، خير من الدنيا وما حملت من ذهب وفضّة" (الصدوق، 1959، ص 2).

ج. وعنه (عليه السلام) في معيار القيمة المعرفية والطبقية للرواية: "أعرف منازل شيعتنا على قدر روايتهم ومعرفتهم، فإن المعرفة هي الدراية للرواية".
د. وعن الإمام الصادق (عليه السلام) مبيناً الأثر الاجتماعي للرواية الفقيه: "رواية لحديثنا يبث في الناس، ويشدّد في قلوب شيعتنا، أفضل من ألف عابد" (المجلسي، 2008، ص 154).

ولم يقتصر أئمة العترة الطاهرة (عليهم السلام) على التوجيه النظري بل مارسوا عملياً نشر السنة ورواية الحديث عن جدّهم المصطفى (صلى الله عليه وآله وسلم) في كل مصر وحاضرة حلوا بها. فقد عقد أمير المؤمنين (عليه السلام) حلقات درس علمية دائمة في مسجد رسول الله بالمدينة المنورة، وفي مسجد الكوفة إبان خلافته، حافاً بأصحابه ومحدثاً إياهم عن السيرة والسنة النبوية، وكان كثيراً ما يخاطبهم مبيناً السعة المعرفية التي تلقاها: "علّمني رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ألف باب من العلم، يفتح لي من كل باب ألف باب" (العسكري، 2016، ص 49).
وتوثق المدونات التاريخية صوراً مشرقة تعكس استمرارية هذا النشاط الرسالي العظيم في الأجيال اللاحقة للأئمة:

أ. تنقل لنا حبابة الواليّة مشاهداتها العلمية في مكة قائلة:
رأيت رجلاً بمكة بين الباب والحجر على صعدة من الأرض.. انثال عليه الناس يستفتونه في المعضلات ويستفتحونه أبواب المشكلات، فلم يرم حتى أفتاهم في ألف مسألة، ثم نهض يريد رحله، ومنادٍ ينادي بصوت مهلّ: ألا إن هذا النور الأبلج.. وآخرون يقولون: من هذا؟ فقيل: محمد بن علي الباقر على العلم، والناطق عن الفهم، الإمام محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (عليهم



(السلام) (الأديب، 2025، ص 157).

ب. وفي إطار صناعة الكوادر العلمية وبثّها في الحواضر، كان الإمام الباقر (عليه السلام) يقول لتلميذه أبان بن تغلب:

«اجلس في مسجد المدينة، وافق الناس فإنني أحبُّ أن يُرى في شيعتي مثلك» (المظفر، 2019، ص 131). وتأكيذاً على هذا النهج، قال له الإمام الصادق (عليه السلام) لاحقاً: «ناظر أهل المدينة فإنني أحبُّ أن يكون مثلك من رجالي» (الكليني، 2007، ص 32).

2.5. المطلب الخامس: التأكيد على الاستشهاد بحديث الرسول (صلى الله عليه وآله) في مختلف المجالات

من الآليات المنهجية البارزة التي اعتمدها أئمة أهل البيت (عليهم السلام) لتأصيل السنّة النبوية وترسيخ حضورها كمرجعية معرفية، حرصهم التام على الاستشهاد بنصوص حديث الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) عند الإجابة عن شتى المسائل العقائدية والفقهية والتفسيرية التي تُعرض عليهم. ونعرض فيما يلي نماذج تطبيقية لاستشهاداتهم بالحديث الشريف في شتى العلوم:

أ. في علم الفقه: تأسس المنهج الفقهي عند أئمة أهل البيت (عليهم السلام) في تبيان الأحكام الشرعية على ركيزتين أصليتين لا ينفكان: (الكتاب العزيز والسنّة المطهّرة). وبالرغم من موقعيتهم السامية كعلماء ملهمين ومحدثين يحملون الشريعة النبوية واقعاً ووراثاً، إلا أنهم كانوا يوجهون الأمة دوماً ويربطون أحكامهم بالكتاب والسنّة؛ فقد ورد عن الإمام الصادق (عليه السلام) قوله الحاسم: "ما من شيء إلا وفيه كتابٌ أو سنّة" (الكليني، 2007، ص 59).

وعن سماعة، عن أبي الحسن موسى بن جعفر الكاظم (عليه السلام) قال: "قلت له: أكل شيء في كتاب الله وسنة نبيه (صلى الله عليه وآله وسلم) أو تقولون فيه؟ قال: بل كل شيء في كتاب الله وسنة نبيه (صلى الله عليه وآله وسلم)" (الكليني، 2007، ص 59). ومن النماذج الفقهية الدالة في هذا الباب استدلالهم على مشروعية الجمع بين الصلاتين؛ حيث روى الإمام الصادق (عليه السلام):

"صلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بالناس الظهر والعصر حين زالت الشمس في جماعة من غير علة، وصلى بهم المغرب والعشاء الآخرة قبل سقوط الشفق من غير علة، وإنما فعل ذلك رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ليتسع الوقت على أمته" (الكليني، 2007، ص 101).

ب. في علم التفسير:



انتهج أئمة العترة (عليهم السلام) مسار تفسير الآيات القرآنية على ضوء القرآن نفسه ومن خلال السنة النبوية المأثورة لديهم، والتي تلقوها كابراً عن كابر عن جدهم أمير المؤمنين (عليه السلام) الذي علمه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) دقائق التنزيل وأسراره؛ وفي هذا الصدد يروي سليم بن قيس الهلالي عن أمير المؤمنين (عليه السلام) قوله مبيناً عمق الملازمة التفسيرية:

"ما نزلت آية على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) إلا أقرأنيها وأملاها عليّ فكتبتها بخطي، وعلمني تأويلها وتفسيرها، وناسخها ومنسوخها، ومحكمها ومتشابهها، ودعا لي أن أعلمني فهمها وحفظها، فما نسيت آية من كتاب الله ولا علماً أملاه عليّ فكتبته منذ دعا لي بما دعا" (الغريفي، 2009، ص 279).

إن أئمة أهل البيت (عليهم السلام) هم الأعلام بمراتب القرآن وقرناؤه في الهداية بنص حديث الثقلين المتواتر، حيث قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم):

"إني مخلف فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي أبداً، ولن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض" (الكنهني، 1999، ص 52).

وللوقوف على نماذج تطبيقية واسعة تعكس منهج أهل البيت (عليهم السلام) في التفسير بالاعتماد على السنة النبوية، يمكن مراجعة أمهات الكتب المصنفة في هذا الباب، ككتاب «مجمع البيان في تفسير القرآن» للشيخ الطبرسي، وكتاب «الميزان في تفسير القرآن» للعلامة السيد محمد حسين الطباطبائي؛ إذ يجد الباحث فيهما موسوعة فقهية وتفسيرية ضخمة من مرويات الرسول الأكرم التي ساقها أهل بيته الأطهار لتوضيح مرادات الآيات الشريفة.

كما تزخر الموسوعات الحديثية الكبرى بنماذج هائلة لا تحصى من استشهادات أئمة العترة الطاهرة (عليهم السلام) بالسنة المطهرة في حقول علم العقيدة، وعلم الأخلاق، ومختلف ميادين المعرفة الإنسانية، وهو ما يتجلى بأبهى صورة عند تصفح ومراجعة موسوعة «بحار الأنوار» للعلامة محمد باقر المجلسي.

2.6. المطلب السادس: العمل على تحقيق السنة المطهرة وتمحيصها

أرسى أئمة أهل البيت (عليهم السلام) منهجاً نقدياً دقيقاً ومحكماً لتنقية السنة النبوية الشريفة وفحص مروياتها، وميزوا معالم هذا المنهج التقييمي بوضع موازين وقواعد علمية صارمة تفصل بين صحيح الأثر وسقيمه. وقد جعل الأئمة من كتاب الله العزيز وما قُطع بصدوره عن الرسول الأكرم الميزان الأعلى لمعايرة الأحاديث ونقدها:

فعن عبد الله بن أبي يعفور قال: سألت أبا عبد الله (عليه السلام) عن اختلاف الحديث يرويه من



نثق به، ومنهم من لا نثق به؟ فقال:

"إذا ورد عليكم حديث فوجدتم له شاهداً من كتاب الله أو من قول رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، وإلا فالذي جاءكم به أولى به" (الكليني، 2007، ص 24).
وعن أيوب بن الحر قال: سمعتُ أبا عبد الله (عليه السلام) يقول:
"كلُّ شيءٍ مردود إلى الكتاب والسنة، وكلُّ حديث لا يوافقُ كتابَ الله فهو زخرف" (الكليني، 2007، ص 24).

وعن أيوب بن راشد، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال:

"ما لم يوافق من الحديث القرآن فهو زخرف" (الكليني، 2007، ص 56).

وفي سياق كشف أبعاد التحريف والوضع التاريخي، أخرج الكشي عن محمد بن عيسى بن عبيد:
إن بعض أصحابنا سأل يونس بن عبد الرحمن -وأنا حاضر- فقال له: يا أبا محمد، ما أشدُّك في الحديث وأكثر إنكارك لما يرويه أصحابنا! فما الذي يحملك على ردِّ الأحاديث؟ فقال: حدثني هشام بن الحكم أنه سمع أبا عبد الله (عليه السلام) يقول:

"لا تقبلوا علينا حديثاً إلا ما وافق القرآن والسنة أو تجدون معه شاهداً من أحاديثنا المتقدمة، فإن المغيرة بن سعيد لعنه الله دسَّ في كتب أصحاب أبي، أحاديث لم يُحدِّث بها أبي، فانتقوا الله ولا تقبلوا علينا ما خالف قول ربنا تعالى وسنة نبينا (صلى الله عليه وآله)، فإننا إذا حدثنا قلنا: قال الله عز وجل وقال رسول الله" (الطوسي، 2013، ص 21).

لقد سعى الأئمة (عليهم السلام) إلى تأصيل هذا المعيار المعرفي كخط دفاعي لحماية السنة من التخريب والوضع. وعلى هذا الهدي، سار علماء مدرسة أهل البيت (عليهم السلام) فأنشأوا جهازاً نقدياً يقوم على ركيزتين:

أ. فحص السند: وهو تتبع سلسلة الرواة الناقلين للنص؛ حيث يعكف العلماء على دراسة أحوالهم لمعرفة مدى صدقهم ووثاقته وأمانتهم، مستعينين بـ «علم الرجال». وفي هذا الفحص، يتسامى المحققون فوق التمهيد؛ فالراوي متى ما ثبتت وثاقته وأمانته قبل حديثه، ومتى ما خُدش في نزاهته رُدَّت روايته، بناءً على قواعد علمية مفصلة في مظانها.

ب. تحقيق المتن: ويُعنى بنقد نص الحديث ومضمونه؛ بدرس لغته ودلالاته، والتأكد من عدم معارضته لمحكم الكتاب، أو السنة القطعية، أو للحقائق العقلية المقطوع بها التي أقرها الشارع. فإذا استقام الحديث سنداً ومتناً، قَبِلَهُ العلماء وعملوا به، وإلا ضربوا به عرض الحائط دونما التفاتٍ إلى شهرة الكتاب الذي حواه. ومن هنا، تميزت مدرسة أهل البيت بالقول بـ "عدم صحة جميع ما في أي



كتاب حديثي بالكامل؛ إذ يظل كل كتاب خاضعاً لمشرط النقد العلمي والتدقيق. وبهذه الركائز المنهجية، صان الأئمة (عليهم السلام) السنة من الشوائب والتحريف.

2.7. المطلب السابع: العمل على تثبيت دعائم السنة المطهرة

لم يدخر أئمة أهل البيت (عليهم السلام) جهداً في تثبيت دعائم السنة النبوية وتركيز أسسها في وجدان

الأئمة، عبر تمثيلها واقعاً حياً في مواقفهم، وسيرتهم، وأقوالهم، محققين بذلك تجسيداً عملياً لشخصية المصطفى (صلى الله عليه وآله وسلم) وإحياءً لنهجه، وذلك عبر المعالم الشاخصة الآتية:

أ. تجسيد السنة النبوية سلوكياً وعملياً:

تجلت السنة النبوية في شتى نشاطات ومواقف الأئمة (عليهم السلام) مع مجتمعاتهم، ونستعرض أبهى النماذج التاريخية الدالة على ذلك:

1- موقف أمير المؤمنين (عليه السلام) يوم الشورى:

تذكر المصادر التاريخية أنه إبان أحداث الشورى السادسة التي شكلها الخليفة الثاني عمر بن الخطاب لاختيار من يليه، تقدم عبد الرحمن بن عوف نحو الإمام علي (عليه السلام) عارضاً عليه الخلافة شريطة الالتزام بمنهج محدد، فقال له: "أبايعك على كتاب الله، وسنة رسول الله، وسيرة الشيخين: أبي بكر وعمر". فما كان من الإمام (عليه السلام) إلا أن رد بصوت الرسالة الواضح: "بل على كتاب الله وسنة رسوله واجتهاد رأيي".

فعدل عنه ابن عوف إلى عثمان بن عفان عارضاً عليه الشروط ذاتها، فأجاب بالقبول. ثم أعاد عبد الرحمن العرض على الإمام علي (عليه السلام) ثلاثاً، فلما وجده ثابتاً لا يحيد عن مبدئه ورأى استجابة عثمان، صفق على يد عثمان معلناً له الخلافة (ابن أبي الحديد المعتزلي، 1959، ص 188). إن الإمام علياً (عليه السلام) قد فوت في هذا الموقف المفصلي فرصة تولي السلطة السياسية، مقدماً نموذجاً أسمى في التمسك بالسنة النبوية وحدها، رافضاً مأسسة أي سيرة أخرى إلى جوار سيرة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) -بغض النظر عن تقييم تلك السيرة- لتبقى المرجعية النبوية نقية وشاخصة بلا شريك.

2- تضحية الإمام الحسين (عليه السلام) لإحياء السنة:

أعلن سبط رسول الله، الإمام الحسين (عليه السلام)، في البيان التأسيسي الأول لنهضته المباركة، أن محرك خروجه هو الثورة التصحيحية والإصلاحية في أمة جده، عبر بعث السيرة النبوية المحمدية





وتجسيدها؛ حيث قال (عليه السلام):

"إني لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا ظالماً ولا مفسداً، وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم). أريد أن آمرَ بالمعروف وأنهي عن المنكر، وأسير بسيرة جدي وأبي علي بن أبي طالب، فمن قبلني بقبول الحق فالله أولى بالحق، ومن ردَّ عليّ أصبر حتى يقضي الله بيني وبين القوم بالحق، وهو خير الحاكمين" (المجلسي، 2008، ص 329).

فغدت النهضة الحسينية عملاً فادئاً عظيماً، بذل فيه الإمام دمه الشريف ودماء أهل بيته وأصحابه لتثبيت دعائم السنّة المطهّرة وحفظها من الطمس.

3- تجسيد الإمام علي بن موسى الرضا (عليه السلام) للسنّة النبوية:

انعكس الحرص على السنّة النبوية في مواقف الإمام الرضا (عليه السلام)، ويبرز ذلك جلياً في مشهد البيعة بولاية العهد؛ إذ عزم المأمون العباسي على إجراء مراسم البيعة للإمام، فلما كان ذلك اليوم المشهود وحضر القواد والقضاة والناس متوشحين بالخضرة، جلس المأمون ووضع للرضا (عليه السلام) وسادتين عظيمتين وأجلسه عليهما متعمماً ومتقلداً سيفه. ثم أمر ابنه العباس بن المأمون ليباع أول الناس، فرفع الإمام الرضا (عليه السلام) يده مباركاً ومتلقياً بظهرها وجه نفسه وببطنها وجوه المبايعين. فقال له المأمون: أبسط يدك للبيعة. فقال له الإمام (عليه السلام): "إن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) هكذا كان يبيع". فبايعه الناس على ذلك، ووُضعت البدر، وقامت الخطباء والشعراء ينشدون الفضائل (الأصفهاني، 2014، ص 455).

إن هذا السلوك الرضوي يعكس ذكاءً رسالياً في استثمار الحشود الجماهيرية الغفيرة والمناسبات الرسمية لإحياء معالم السنّة النبوية المنسية، وتذكير الأمة بهدي نبيها في أدق التفاصيل السلوكية.

3. المبحث الثالث: الآراء المعاصرة حول منهجية تدوين الحديث

يتبوأ الحديث النبوي المأثور مرتبة المصدر التشريعي والمعرفي الثاني في الإسلام تلو القرآن الكريم. وتحظى منهجية تدوين هذا التراث وتتبع مساره التاريخي بأهمية بالغة في الفكر الإسلامي المعاصر؛ نظراً لارتباطها الوثيق بإثبات حجية السنّة الشريفة، وتحقيق الاطمئنان الصدوري للنصوص الدينية. وتتمايز المدرسة الإمامية المعاصرة برؤية بنوية خاصة تجاه تاريخ التدوين؛ إذ تبني أطروحتها على أن تقييد الحديث قد انطلق مبكراً جداً في عصر الرسالة وبتوجيه مباشر من النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، وتجسد ذلك عملياً في إملأته على وصيه الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) فيما عُرف تاريخياً بـ «الجامعة» أو «الصحيفة». وتستدل القراءة المعاصرة على ذلك بالنهج المتصل لأئمة





العترة الذين حثوا تلامذتهم على الكتابة والتوثيق، مما أثمر ولادة «الأصول الأربعة»، وهي الدفاتر والمدونات الحديثية الأولية التي كُتبت مشافهةً في عصر الأئمة (عليهم السلام).
وتتمحور الإشكالية العلمية هنا حول كيفية قراءة المحققين والعلماء المعاصرين للإمامية لهذه التركة الحديثية الضخمة في ظل المناهج النقدية والهرمنوطيقية الحديثة: هل يكفي الفكر المعاصر بالآليات الصارمة التقليدية (كالوثاقة الإخبارية)؟ أم أن ثمة قراءات بنوية وتقنيكية جديدة طرأت على الساحة العلمية المعاصرة لإعادة غريلة وتصنيف التدوين الحديثي؟
ينتظم هذا المبحث في مطلبين، ونعرض في هذا الموضع تفاصيل المطلب الأول:

3.1. المطلب الأول: المدرسة الإمامية المعاصرة

أولاً: الجذور التاريخية وتأسيس نظرية "التدوين المبكر"

يُعنى الباحثون والمحققون المعاصرون في الفكر الإمامي (وفي طليعتهم الشيخ جعفر السبحاني والسيد محمد رضا الجالي) بتفكيك ودحض "نظرية تأخر التدوين" التي سادت وقُعدت في بعض المدارس الإسلامية الأخرى، ويرتكزون في ذلك على محددين أساسيين:
السبق التاريخي: تذهب المدرسة الإمامية إلى أن أزمة منع كتابة الحديث وحظر تدوينه التي أعقبت رحيل النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) كانت خياراً سياسياً تبنته السلطة آنذاك، ولم تلتزم به مدرسة أهل البيت (عليهم السلام) التي حافظت على استمرارية التدوين دون انقطاع (السبحاني، 2013، ص 56).

الكتاب الحاضر: تؤكد الرؤية المعاصرة أن النص الحديثي الإمامي لم يعيش عزلة "الشفاهية المطلقة" لقرون طويلة، بل كانت عملية التقييد والكتابة متلازمة مع السماع والمشافهة جنباً إلى جنب.
محور النظرية: إن المحافظة الفائقة على هذه المكتوبات والمدونات الأولى (الأصول الأربعة) هي التي شكلت النواة الصلبة والمادة المعرفية الأساسية التي استُلت منها الجوامع والمجاميع الحديثية الأربعة المتأخرة، وهي: (الكافي للكليني، ومن لا يحضره الفقيه للصدوق، والتهذيب والاستبصار للطوسي) (الجالي، 1418هـ، ص 76).

ثانياً: الاتجاهات المعاصرة في نقد وهندسة التدوين

تتوزع الآراء والمدارس المعاصرة في الحوزات العلمية الكبرى (النجف الأشرف وقم المقدسة) والمؤسسات الأكاديمية الرديفة إلى ثلاثة اتجاهات رئيسية في تعاطيها مع منهجية التدوين ونقد النص:

1- الاتجاه الوثوقي المخبري (المنهج القديم المحدث):





يمثل هذا المنهج امتداداً لطريقة المتقدمين، ويرى أصحابه أن التدوين الأولي في "الأصول الأربعمائة" وما أودعه أصحاب الكتب الأربعة في جوامعهم قد حاز على "قارئ صحتة" حفت بالنصوص، مما جعل المتقدمين يثقون بصور هذه الأحاديث واطمئنأنهم إليها. ويمثل هذا الاتجاه طيفاً واسعاً من الفقهاء المعاصرين الذين لا يشترطون للحكم بصحة الحديث وثاقة كل راوٍ في السلسلة السندية بشكل تجزئي، متى ما اعتضد الحديث بقرائن داخلية (متنية) أو خارجية (تاريخية وفهرستية) تؤكد صدوره عن المعصوم.

2- الاتجاه السندي الصارم (مدرسة السيد الخوئي):

يُعد زعيم الحوزة العلمية السيد أبو القاسم الخوئي (ت 1413 هـ) ومدرسته المعاصرة نقطة تحول هائلة ومفصلية في تاريخ النقد الحديثي؛ إذ أرسى منهجاً رياضياً صارماً في تتبع أحوال الرواة عبر موسوعته الرجالية الشاحصة «معجم رجال الحديث». وترى القراءة المعاصرة التابعة لهذا الاتجاه أن مجرد إيداع الحديث في كتاب مدون قديم ومحترم (كالكافي مثلاً) لا يمنحه حصانة مطلقة أو حكماً بالصحة التلقائية، بل يلزم إخضاع كل راوٍ في السلسلة السندية للجرح والتعديل العلمي الحاد، وبناء الحجة على وثاقة أفراد السند واحداً تلو الآخر (الخوئي، 2018، ص 22).

ثالثاً: المنهج الفهري والتحليل البنيوي للكتب

برز في العقود الأخيرة اتجاه معاصر ونوعي يقوده محققون كبار (أمثال السيد أحمد المددي والسيد محمد جواد الشبيري الزنجاني)، يدعو إلى تفعيل "المنهج الفهري" كبديل موضوعي أو مكمل أساسي للمنهج السندي الصارم.

مفهوم المنهج الفهري: يقوم هذا المنهج على دراسة تاريخ انتقال "الكتاب" والنسخة المدونة وتقييمها، بدلاً من الاقتصار على دراسة أحوال "الأفراد" المكونين للسند.

آليته النقدية: يبحث المحقق المعاصر هنا عما إذا كان الحديث مستقلاً من كتاب مشهور ومتداول ومضمون الاعتماد في عصر الأئمة؛ فإذا ثبت بالقرائن الفهرستية أن هذا الحديث منقول بدقة من «كتاب حريز بن عبد الله السجستاني» مثلاً (وهو كتاب موثوق ومعتمد)، لم يعد لضعف بعض الأفراد المتأخرين في السلسلة السندية أثر كبير في إسقاط الحديث؛ لأن الواسطة المتأخرة أصبحت عبارة عن "طريق وإجازة لرواية كتاب مشهور" وليست نقلاً شفهيّاً يتطرق إليه الإرسال أو النسيان (المددي، 2013، ص 72).

رابعاً: المنهج الفقه - حديثي والدلالي

لا تقف المنهجية المعاصرة عند حدود النقد الخارجي المتمثل في السند والنسخ الفهرستية، بل



شهدت آليات "منهجية فقه الحديث" (المعنية بفهم متن الحديث، واستنتاج دلالاته، ودراسة سياقاته العقلية والحالية) تطوراً ملحوظاً وقراءات تجديدية واسعة في الفكر الإمامي المعاصر. خامساً: تدوين أحاديث المعارف والعقائد مقابل أحاديث الفروع يُشير الفكر الإمامي المعاصر إلى وجود تمايز إبستمولوجي (معرفي) ومنهجي واضح عند مقارنة وتدوين روايات الفقه المشتتة على (الأحكام العملية) في مقابل روايات العقائد والمعارف المتضمنة لـ (المسائل العقلية والنظرية):

في الفقه والأحكام: يتجه المنهج إلى التشدد البالغ في وثاقة السند واتصال السلسلة، نظراً لخطورة الفتيا بالتحليل والتحريم وما يترتب عليها من تكاليف عملية.

في العقائد والمعارف: يذهب جملة من الفلاسفة والمفكرين المعاصرين (وفي طليعتهم العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي والشهيد الشيخ مرتضى المطهري) إلى أن المدار النقدي يقوم على «التحليل العقلي والانسجام البرهاني» لمتن الحديث المدون. فالنص المعرفي يُقبل متى كان متته يحمل برهاناً فلسفياً ناصعاً أو محتوياً معرفياً يوافق العقل الفطري الصريح، حتى لو كان سنده قاصراً أو مرسلأ؛ لأن العبرة في المسائل الاعتقادية قائمة على تحصيل القطع واليقين الموضوعي، والظن السندي لا يغني في التوحيد شيئاً (العسكري، 2016، ص 96).

سادساً: الثورة الرقمية وتأثيرها على هندسة التدوين

شهد العصر الحديث (القرن الحادي والعشرين وصولاً إلى عام 2026 م) نقلة نوعية وتطوراً بنوياً في آليات التعامل مع التدوين الحديثي بفضل تقنيات البرمجيات، والذكاء الاصطناعي، والموسوعات الرقمية الشاملة -ك- (مركز البحوث الكمبيوترية للعلوم الإسلامية - نور) في قم المقدسة، والمؤسسات والمشاريع الرقمية الرائدة في النجف الأشرف- وتتجلى هذه الهندسة الرقمية في محددتين: المقارنة النصية الفورية: أتاحت الخوارزميات البرمجية الحديثة إمكانية تتبع التصحيح، والتحريف، والسقط في متون الأحاديث المدونة عبر مقابلة آلاف المخطوطات والنسخ التاريخية ومقارنتها في ثوانٍ معدودات (محسني، 2021، ص 119).

مشجرات الأسانيد التفاعلية: تحولت دراسة الأسانيد والطبقات من عملية ورقية تقليدية معقدة إلى مشجرات رقمية تفاعلية وديناميكية تكشف عن (طبقات الرواة)، وتحدد المشتركات، وتميز الاتحاد بين العناوين بدقة متناهية، مما قاد المجتهدين إلى إعادة تقييم تصحيح وتضعيف الكثير من التدوينات التاريخية.

سابعاً: نقد الروايات الإسرائيلية والموضوعات



في مقابل تركيز المستشرقين والباحثين في المعاهد الغربية على نقد الحديث الإسلامي وتدوينه بخلفياتهم الخاصة، تصدى علماء المدرسة الإمامية المعاصرون (أمثال الشيخ العلامة محمد باقر المحمودي والسيد

مرتضى العسكري) لتتقيد المدونات الحديثية وتطهيرها عبر مسارين حاسمين:

1. الدخيل والإسرائيليات: وضع معايير معرفية صارمة لفرز الأحاديث والقصص المتأثرة بالثقافات والديانات السابقة وعزلها، ولا سيما تلك المتسللة إلى الحقول التفسيرية وقصص الأنبياء (الزنجاني، 2020، ص 198).

2. روايات الغلو: تفعيل آليات نقد المتن العقدية لرفض وإسقاط الروايات المدونة التي ترفع الأئمة (عليهم السلام) إلى مصاف الألوهية أو تضيف عليهم صفات تتقاطع مع التوحيد الخالص؛ انطلاقاً من الرؤية التاريخية المعاصرة التي ترى أن تدوين هذه الشوائب جاء نتيجة اختراقات ممنهجة قادتها حركات الغلاة في القرنين الثاني والثالث الهجريين.

ثامناً: مراجعات نقدية للمجاميع الحديثية المتأخرة

يبرز في الفكر الإمامي المعاصر أصل منهجي قطعي يقرر «عدم القول بصحة أي كتاب بعد القرآن الكريم بصفة مطلقة»؛ فلا وجود لمفهوم "الصالح بالمعنى المطلق للكلمة" في المتبنيات العلمية للمدرسة (الطباطبائي، 1417هـ، ص 156)، ويتجلى ذلك في المراجعات الآتية:

كتاب الكافي للكليني: على الرغم من جلالة قدره الفائقة ومحوريته، فإن المنهج النقدي المعاصر يصنفه على أنه جامع يحتوي على أحاديث تتنوع بين (الصحيح، والحسن، والموثق، والضعيف). ولعل الموقف الأبرز هو ما قدمه السيد أبو القاسم الخوئي في مدرسته الرجالية؛ حيث حكم بضعف أكثر من نصف روايات الكافي بناءً على مبانيه السنية الصارمة.

كتاب بحار الأنوار للمجلسي: يرى المحققون المعاصرون (كآية الله الشيخ آصف محسني في مصنفه النقدي الشاخص «مشرعة بحار الأنوار» أن هذا الأثر الضخم يمثل "مكتبة جمع" تهدف إلى حفظ التراث من الضياع، وليس "كتاب تصحيح" يعكس رأي مصنفه في الروايات. وتبعاً لذلك، خضع كتاب البحار في القراءات المعاصرة لغربلة علمية حادة أفرزت تصفية الروايات المعتبرة عن غيرها.

3.2. المطلب الثاني: الاتجاه المدافع (المدرسة الإسلامية المعاصرة)

الاتجاه الأول: يرى أصحاب هذا الاتجاه أن منهجية تدوين الحديث عند علماء المتقدمين كانت



منهجية علمية صارمة اتسمت بالدقة والموضوعية، وسبقت بكثير المناهج التاريخية والنقدية الحديثة. ويؤكد هذا المنحى أن حركة التدوين قد انطلقت مبكراً جداً في التاريخ الإسلامي ولم تتأخر إلى القرن الثاني الهجري كما هو شائع في بعض الأطروحات الاستشراقية (الخطيب، 1980، ص 62).

وينبثق عن هذا الاتجاه محوران أساسيان:

أولاً: إثبات التدوين المبكر في القرن الأول

ركزت الدراسات الإسلامية المعاصرة في هذا السياق (وفي طليعتها أبحاث الدكتور مصطفى الأعظمي والدكتور محمد عجاج الخطيب) على إثبات أن حركة حفظ السنّة وتدوينها مرت بمراحل متداخلة ومتكاملة:

1. الكتابة والتقيد: بدأت في عهد النبي (صلى الله عليه وسلم) وبإذن مباشر منه، وتمثلت في "الصحف الصادقة الأولى" كصحيفة عبد الله بن عمرو بن العاص (الأعظمي، 1985، ص 92).

2. التدوين الرسمي: وهو التدوين العام الموجه الذي انطلق على رأس المائة الأولى بأمر رسمي من الخليفة عمر بن عبد العزيز للمحدث ابن شهاب الزهري.

3. التصنيف المنهجي: وتكاملت أبعاده في القرنين الثاني والثالث الهجريين عبر ظهور الموطّات، والمسانيد، ثم الكتب الستة والصحاح.

ثانياً: رد الشبهات حول أحاديث "النهي عن الكتابة"

ناقش العلماء المعاصرون دلالة الأحاديث المأثورة في النهي عن التدوين، ولا سيما حديث أبي سعيد الخدري المرفوع: "لا تكتبوا عني ومن كتب عني غير القرآن فليمحه"، وتبنوا في تفكيك هذا الإشكال المنهج الجمعي والتاريخي مستنديين إلى وجهين:

الوجه الأول: أن النهي كان مقيداً ببداية الدعوة الإسلامية؛ حذراً من اختلاط النص الحديثي بآيات القرآن الكريم في الصحف الأولى قبل استقرار الوحي وتميزه.

الوجه الثاني: أن النهي كان نهياً توجيهياً موجهاً لمن يُخشى عليه الاعتماد التام على الكتابة مع إهمال ملكة الحفظ والضبط، أو أن هذا النهي قد نُسخ كلياً بأحاديث الإذن الصريحة والمتأخرة تاريخياً، كقوله (صلى الله عليه وسلم): "اكتبوا لأبي شاه" (السباعي، 2008، ص 211).

خلاصة رأي الاتجاه المدافع: يخلص هذا الاتجاه إلى أن التدوين المعاصر يجب أن ينطلق ابتداءً من التسليم بسلامة المنهجية العلمية التي أسسها المتقدمون ورسخوها، مع العمل على تطوير أدوات البحث الرقمي والموضوعي وتوظيفها لخدمة النص الحديثي الشريف.

الاتجاه الثاني: الاتجاه الاستشراقي والتشكيك المنهجي

شكلت كتابات المستشرقين في أواخر القرن التاسع عشر والقرن العشرين منعطفاً نقدياً كبيراً ألقى بظلاله على الكثير من الأطروحات الفكرية المعاصرة في العالم الإسلامي، حيث اتسمت هذه المدرية بإعادة قراءة تاريخ التدوين وفق أدوات نقدية مغايرة، وتتمثل أبرز أجنحتها في الآتي:

أولاً: أطروحة "إيجناس جولد تسيهر" وتسييس الحديث

يُعدّ المستشرق المجري جولد تسيهر، في مصنفه الشهير «دراسات إسلامية»، الأب الروحي لتيار التشكيك في أصالة تدوين الحديث النبوي، وتتلخص أطروحته في ركيزتين:

أن الحديث النبوي الشريف ليس انعكاساً حقيقياً لعصر الرسالة أو النبي (صلى الله عليه وسلم)، بل هو نتاج متأخر أفرزته الصراعات السياسية، والمذهبية، والدينية التي احتدمت في العصرين الأموي والعباسي.

أن المحدثين عمدوا في مراحل لاحقة إلى وضع الأسانيد وصياغتها لتبرير آرائهم الفقهية وتوجهاتهم السياسية وإضفاء الصبغة الشرعية عليها (تسيهر، 2019، ص 134).

ثانياً: أطروحة "جوزيف شاخت" ونظرية التراجع بالأسانيد

طوّر المستشرق الألماني جوزيف شاخت في كتابه «أصول الفقه المحمدي» فرضيات جولد تسيهر، مبتكراً ما يُعرف بـ «نظرية التراجع بالأسانيد»، والتي زعم فيها:

أن الأسانيد كانت تنمو بشكل عكسي وتراجعي؛ فكلما تأخر الزمن وتراخت القرون، رُفع الحديث صُعداً إلى سلطة تشريعية أعلى (من التابعي إلى الصحابي ثم إلى النبي مباشرة) بهدف إحكام شرعيته. أن عملية التدوين الفعلي والممنهج لم تنطلق إلا بعد منتصف القرن الثاني الهجري، وما سبقه لم يكن سوى ممارسات شفوية سادها الاضطراب وعدم الانضباط (شاخت، 2019، ص 77).

ثالثاً: القراءات الاستشراقية المعتدلة (هارالد موتسكي نموذجاً)

في أواخر القرن العشرين ومطلع القرن الحادي والعشرين، برز تيار استشراقي نقدي جديد يُعرف بـ (المدرسة التعديلية)، تفرّد فيه المستشرق الألماني هارالد موتسكي بتبني منهجية صارمة تقوم على «تحليل الإسناد والمتن وإثبات أصليتهما»

cum - I snad) matn analysis-، متوصلاً إلى نتائج مغايرة أهمها:

خطأ التعميمات الإطلاقية التي وقع فيها جولد تسيهر وجوزيف شاخت وتهافت متبنياتها. أن مصنفات القرن الثاني الهجري المبكرة (وفي طليعتها مصنف عبد الرزاق الصنعاني) تختزن في طياتها نصوصاً ومرويات يمكن إرجاعها وثوقياً وتاريخياً إلى القرن الأول الهجري، أي إلى عصر الصحابة والتابعين (Harald, 2000, p: 10).



الاتجاه الثالث: الاتجاه العقلاني والحداثي العربي المعاصر

تأثر هذا التيار بشكل ملحوظ بأطروحات المدرسة الاستشراقية وبمناهج الفلسفة الغربية الحديثة ك (الهيرمينوطيقا/التأويلية) والتفكيكية، وتوزع نشاطه الفكري على عدة أجنحة: أولاً: مدرسة نقد المتن وتقديم القرآن (محمود أبو رية نموذجاً)

شكل كتاب محمود أبو رية «أضواء على السنة المحمدية» في منتصف القرن العشرين نقطة تحول جوهرية ومثيرة للجدل في الخطاب الحداثي العربي، وتتلخص رؤيته في نقطتين: موقفه من التدوين: تبنى أطروحة شاخت القائلة بتأخر التدوين لقرن ونصف من الزمان، معتبراً أن هذه الفجوة الزمنية فتحت الباب على مصراعيه لظاهرة "الوضع" (التزوير)، والاعتماد على رواية الأحاد التي لا تفيد اليقين العقدي.

منهجيته البديلة: دعا إلى تجاوز المنهج السندي وإهمال دراسة الأسانيد، والتركيز الحصري عوضاً عن ذلك على "نقد المتن" من خلال عرضه على محكم القرآن الكريم وعلى العقل المخبري المعاصر (أبو رية، 2006، ص 88).

ثانياً: الاتجاه التفكيكي التاريخي (أركون والجابري)

محمد أركون: دعا إلى تطبيق منهج "نقد العقل الإسلامي"، واصفاً الحديث المدون بأنه جزء من "المخيال الديني" الذي تمت صياغته وتشكيله تاريخياً لخدمة السلطة السياسية وتثبيت (الأرثوذكسية الإسلامية) (أركون، 2010، ص 75).

محمد عابد الجابري: يرى في أطروحته الشاحصة «بنية العقل العربي» أن عصر التدوين (الممتد منذ منتصف القرن الثاني الهجري) قد شكّل ما أسماه بـ "بنية العقل المستقل"؛ حيث جُمع التراث وتُدرّس بناءً على القياس الفقهي والذاكرة الإعرابية البدائية، مما أثر سلباً على المنزع العقلاني في الفكر الإسلامي (الجابري، 2010، ص 162).

ثالثاً: المدرسة القرآنية المعاصرة

تطلق هذه المدرسة (التي يمثلها أحمد صبحي منصور، ومحمد شحرور بنحو ما) من فرضية أن تدوين الحديث النبوي كان "بدعة تاريخية" خالفت المنهج النبوي الأصيل الصارم في النهي عن التدوين، وترى أن الدين مكتمل بالقرآن الكريم وحده؛ وعليه فإن جميع منهجيات التدوين والتمحيص -قديماً وحديثاً- لا قيمة تشريعية أو إلزامية لها في البنية الدينية.

الخاتمة



في ختام هذا البحث المستفيض حول تاريخ ومنهجيات تدوين الحديث الشريف، يمكن إجمال أبرز النتائج العلمية التي تم التوصل إليها في النقاط الآتية:

1. إنَّ حاجة الإنسان الماسة إلى اختيار القدوة والأسوة في حياته تكمن في تلمس الطريق الموصلة إلى النجاة والسعادة الواقعية، ومن خلال شخصية الرسول المختار (صلى الله عليه وآله وسلم) يستطيع المكلف تكوين الملامح العامة لشخصيته الإيمانية.
2. تميّزت الشخصية النبوية الشريفة بأعلى مراتب محاسن الأخلاق ومكارمها، وهي غاية سامية يطمح إليها كلّ عاقل ويسعى جاهداً لكسبها وتحقيقها في سلوكه اليومي.
3. تمثل السّنة النبويّة الشّريفة المصدر الثّاني من مصادر التشريع الإسلامي بعد القرآن الكريم، وتُعدّ مقوماً أساسياً وركيزة أصيلة من ركائز الثّقافة والمعرفة الإسلامية.
4. إنّ حركة التنشيط والتحفيز التدوينية الممنهجة التي قادتها مدرسة الأئمة من أهل البيت (عليهم السلام) أثمرت مبادرات جادة ومبكرة لدى أتباعهم ورواة حديثهم في شتى حقول الكتابة والتدوين.
5. رسم أئمة أهل البيت (عليهم السلام) منهجاً نقدياً دقيقاً ومحكماً لتحقيق السّنة النبوية الشريفة وتمحيصها، وحدّدوا معالم ذلك المنهج وأصوله المعرفية من خلال وضع موازين وقواعد خاصة (كالعرض على الكتاب) لمعرفة السليم من السّقيم من الأحاديث.
6. يركز المستشرقون والباحثون في المعاهد الغربية في دراساتهم المعاصرة بشكل مكثف على نقد الحديث الإسلامي وتفكيك تاريخ تدوينه وفق مناهجهم الخاصة.
7. ثبت بالدليل العلمي أن منهجية تدوين الحديث وضبطه عند علماء الإسلام المتقدمين كانت منهجية علمية صارمة تميزت بالدقة الموضوعية، وسبقت بكثير المناهج التاريخية والنقدية الحديثة المعمول بها في الغرب.
8. تعددية غير متكافئة: تنقسم الآراء المعاصرة حول السّنة إلى اتجاهات ثلاثة بارزة: (اتجاه تأصيلي مدافع، واتجاه استشراقي مشكك، واتجاه حداشي تفكيكي)، مما يعكس حيوية وتدافع القراءات حول النص الحديثي.
9. أصالة التدوين: ثبت علمياً وبناءً على التحليلات الحديثة للمخطوطات المبكرة أن تدوين الحديث واكب عصر الرواية الشفوية ولم يكن معزولاً عنها، مما ينقض كلياً نظرية "الفجوة التاريخية الممتدة" التي اتكأت عليها أطروحات شاخت ومحمود أبو رية.

المصادر



- [1] ابن أبي الحديد، عبد الحميد بن هبة الله، (1959) شرح نهج البلاغة، ج13، دمشق ، دار إحياء الكتب العربية - عيسى البابي الحلبي وشركاه.
- [2] ابن قولويه القمي، (2011)، كامل الزيارات، تحقيق نشر الفقاهة.
- [3] أبو رية، محمود، (2006)، أضواء على السنة المحمدية: أو قصة الحديث المحمدي، ط5 ، دار المعارف .
- [4] الأديب، عادل، (2025) ، الأئمة الاثني عشر، لبنان، مؤسسة الاعلامي للمطبوعات.
- [5] أركون، محمد، (2010)، تاريخية الفكر العربي الإسلامي، بيروت، مركز الإنماء القومي.
- [6] الأصفهاني، أبو الفرج ، (2014)، مقاتل الطالبين، تحقيق أحمد صقر، لبنان ، مؤسسة الاعلامي للمطبوعات.
- [7] الأعظمي، محمد مصطفى، (1985) دراسات في الحديث النبوي وتاريخ تدوينه، بيروت ،المكتب الإسلامي.
- [8] برتليني، جان. تر. انور عبد العزيز. (1970). بحث في علم الجمال. مصر: دار نهضة مصر.
- [9] الجابري، محمد عابد، (2010) بنية العقل العربي: دراسة تحليلية نقدية لنظم المعرفة في الثقافة العربية، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية
- [10] الجلالى، السيد محمد رضا ، (1418هـ)، تدوين السنة الشريفة، قم، مكتب الإعلام الإسلامي،.
- [11] جولد تسيهر، إيجناس، (2019) ، العقيدة والشريعة في الإسلام .ترجمة: محمد يوسف موسى، بيروت، دار الرائد العربي.
- [12] الحر العاملي، محمد بن الحسن ، (2019) ، وسائل الشيعة، ج 18، مؤسسة ال البيت عليهم السلام لاحياء التراث.
- [13] حيدر، أسد ، (1900) ، الإمام الصادق والمذاهب الأربعة، المجلد الأول، الجزء الثاني، مطبعة النجف.
- [14] الخراساني الجويني ، (2016) ، فرائد السمطين في فضائل المرتضى والبتول والسبطين والائمة من ذريتهم عليهم السلام، ج1، ، دار الحبيب للنشر.
- [15] الخطيب، محمد عجاج،(1980) ، السنة قبل التدوين، دمشق ، دار الفكر.
- [16] الخوئي، السيد أبو القاسم ، (2018) ، معجم رجال الحديث وتفصيل طبقات الرواة، بيروت ، دار الزهراء.





- [17] الديلمي ، الحسن بن أبي الحسن محمد ، إرشاد القلوب، ج1، دار الأسوة للطباعة والنشر ،
- [18] الرضوي، الشريف محمد بن الحسن، (1967)، نهج البلاغة (خطب الإمام علي عليه السلام)، تحقيق وتصحيح صبحي الصالح، لا. ن، لبنان - بيروت، ط1، ج1، الخطبة 1.
- [19] الزنجاني، السيد محمد جواد ، (2020) ، مقالات تخصصية في علم الحديث والدراية، قم، مجلات فقهية تخصصية.
- [20] السباعي، مصطفى، (2008) ، السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي. المكتب الإسلامي، بيروت.
- [21] السبحاني، الشيخ جعفر ، (2013) ، كليات في علم الرجال، قم، مؤسسة النشر الإسلامي،
- [22] شاخت، جوزيف، (2019)، أصول الفقه المحمدي. ترجمة وتقويم: عبد المقصود شلقامي، بيروت ، دار المدار الإسلامي.
- [23] شمس الدين، الشيخ محمد مهدي، (1997) ، حركة التاريخ عند الإمام علي عليه السلام، ط4 ، لبنان - بيروت، المؤسسة الدولية للدراسات والنشر .
- [24] الشيخ الصدوق، محمد بن علي بن بابويه ، (2012) كتاب التوحيد، دار المعرفة للنشر .
- [25] الشيخ الطبرسي، الحسن بن المفضل ، (2011) مكارم الأخلاق، مكتبة الالفين للنشر .
- [26] الصدوق ، محمد بن علي بن بابويه، (1959) ، / معاني الأخبار، إيران ، مكتبة الصدوق.
- [27] الطباطبائي، السيد محمد حسين ، (1417هـ) ، الميزان في تفسير القرآن (مقدمات وفصول العرض على الكتاب)، دار الكتب الإسلامية.
- [28] الطبرسي، علي بن الحسن ، (1324هـ) ، مشكاة الأنوار في غرر الأخبار، دار الحديث للنشر .
- [29] الطوسي ، محمد بن الحسن ، (2013) ، اختيار معرفة الرجال ، لبنان ، مؤسسة الاعلامي للنشر .
- [30] العسكري، السيد مرتضى ، (2016) ، معالم المدرستين: دراسة مقارنة بين تدوين الحديث عند مدرسة الخلفاء ومدرسة أهل البيت، طهران، مؤسسة البعثة.
- [31] الغريفي ، العلامة السيد عبد الله ، (2009) ، التشيع نشوءه مراحل مقوماته، دار الملاك للنشر .
- [32] الكليني، محمد بن يعقوب، (2007) ، كتاب الكافي، الأصول، ج1، منشورات الفجر ، باب الأخذ بالسنة وشواهد الكتاب، ح رقم 7.
- [33] الكهنوي، السيد حامد حسين ، (1999) ، نفحات الازهار في خلاصة عبقات الانوار ، قم ، مكتبة اهل البيت (ع).





- [34] لجنة التأليف، (2015) مركز المعارف للمناهج والمتون التعليمية، الشخصية القيادية للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم في فكر الإمام الخائمني دام ظله، ط1، لبنان - بيروت.
- [35] المجلسي، محمد باقر، (2008)، بحار الأنوار، ج44، لبنان، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات.
- [36] محسني، الشيخ آصف، (2021)، مشرعة بحار الأنوار (دراسة نقدية لموسوعة المجلسي)، قم، مكتبة المصطفى.
- [37] محمد بن يعقوب الكليني، (2007)، أصول الكافي، ج1، ج3، منشورات الفجر، ح 10.
- [38] المددي، السيد أحمد، (2013)، تقارير أبحاث في المنهج الفهري وتاريخ تدوين الحديث (دروس حوزوية مطبوعة)، النجف الأشرف.
- [39] المظفر الشيخ محمد الحسين، (2019)، الإمام الصادق، ج2، قم، مؤسسة النشر الاسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة.
- [40] المعتزلي، ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ج1، الموسوي، محمد الرضي بن الحسن، (2004)، نهج البلاغة، للإمام علي (عليه السلام) شرح الدكتور صبحي الصالح، بيروت، دار الكتاب اللبناني، القاهرة، دار الكتاب المصري.
- [42] الهندي، علاء الدين علي المتقي بن حسام الدين، (1985)، كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، مؤسسة الرسالة للنشر، ح 35463.
- [43] وول ديورانت، (2002)، موسوعة قصة حضارة، ترجمة: 2013 ترجمة: زكي نجيب محمود، محمد بدران، وآخرون، ج13، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- [44] Motzki, Harald. (2000). *The Biography of Muhammad: The Issue of the Sources*. Brill, Leiden. 10.

